المؤثرات الدينية والاجتماعية والاقتصادية للمهاجرين والمسلمين في المجتمع الحبشي (دراسة تاريخية)

الأستاذ المساعد الدكتور
نبيل جواد الخاقاني
جامعة الكوفة ـ كلية الفقه
nabeelj-mohammed@mokufa.iq

Social and Economic Effects of Al-، The Religious Muhajereen and Al-Muslims in the Abyssinian Society

Asst. Prof. Dr.
Nebeel Jewad Al-Khaqhany
Faculty of Jurisprudence - University of Kufa

الملخص:

إن المهاجرين الأوائل قد أثروا في حياة المجتمع الحبشي وتركو في نفوسهم ينبوعاً روحياً متفجراً بالقوة والحياة والإسلام هادئاً للحبشة، فيما بعد أصبح التجار المسلمين الذين يتجولون في المجتمع الحبشي وافريقيا سعياً وراء التجارة كانوا دعاة للإسلام وحضارته إذ ساحوا هناك وكانوا لما يتصفون به من حسن المعاملة والصدق له الأثر الكبير في كسب الاحترام والثقة لدى الحبشيين وكان واضحاً في البحث عن الدين الحق والتدبر والتفكر بالإسلام وعدم الممانعة من تغير الدين تيقنهم بأن الدين الجديد هو الدين الصحيح وهو خاتم الاديان السماوية وقد بشرت كتبهم بذلك.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، المهاجرين، رسول الله، الحبشة، جعفر بن طالب، المؤثرات، الإسلام.

Abstract:-

The early Muhajereen had affected the society of the Abyssinian Society creating a spiritual spring in it. Later، the Muslim merchants had wandered the Abyssinian Society and Africa firstly for commerce، at the same time they were preachers or callers for Islam and its instructions and cultures due to their good behavior and honest which made them the high respect and trust. The result was that the Abyssinians had considered and mediated Islam and most of them decided to convert Islam believing that it is the sound religion and the seal of the heavenly religions which their books had preached for.

Keywords: the holy Qur`an، Al-Muhajereen, the messenger of Allah, Abyssinia, Ja`fer bin Abi Talib, effects, Islam.

المقدمة:

يعدُّ موضوع هجرة المسلمين إلى الحبشة من الموضوعات المهمة كون هذه الهجرة حدثت في بداية الدعوة الإسلامية في السنة الخامسة للبعثة نتيجة قسوة قريش وازدياد ضراوتهم وتضاعف ظلمهم، وتعذيب المسلمين وفق الطريقة التي رسمها زعماؤهم، وقد ساء ذلك رسول الله ﷺ كثيراً وأخذ يفكر في أمر المسلمين من أجل أن يجد لهم حلاً لما حل بهم من محنة وبلاء، فأشار لهم بالهجرة إلى أرض الحبشة التي كانت بعيدة عن النفوذ السياسي الفارسي والرومي، وكذلك كان فيها ملك لا يظلم عنده أحد لان الاحباش كانوا يدينون بالديانة المسيحية، وهي أرض صدق وإنه يُحسن الجوار، وهكذا فقد أحسن النجاشي معاملتهم وجوارهم وشملهم بحسن رعايته، واستمر بقاؤهم حقبة زمنية تقارب عقداً ونصف من الزمن وقد أثروا في حياة المجتمع الحبشي وتركوا في النفوس ينبوعاً روحياً جديداً متفجراً بالقوة والحياة وتغلغل الإسلام هادئاً إلى الحبشة، وبدأ المهاجرون بنشر الإسلام في البلاط الاكسومي مما كان له الأثر الديني في استجابة النجاشي وعائلته وأقربائه ورجال الدين لدخول الإسلام، وفيما بعد كان للتجار المسلمين الأثر الديني والحضاري في المجتمع الحبشي والأفريقي، لما يتصفون به من حسن المعاملة والصدق، بعيداً عن القوة العسكرية والمادية في كل صورها لنشر الإسلام عندهم.

قسمتُ بحثي هذا على تمهيد وثلاث نقاط تطرقت في النقطة الأولى للمؤثر الديني للمهاجرين والمسلمين في المجتمع الحبشي والنقطة الثانية تناولت المؤثر الاجتماعي والفكري للمهاجرين والمسلمين في المجتمع الحبشي وبحثت في النقطة الثالثة المؤثر الاقتصادي والتجاري للمهاجرين والمسلمين في المجتمع الحبشي.

التمهيد:

الهجرة إلى الحبشة:

حين تعرض المسلمون في مكة إلى الشدة والاضطهاد وشتى أنواع العذاب، فقد ساء ذلك رسول الله ﷺ كثيراً وأخذ يفكر في أمر المسلمين ولابد من أن يجد لهم حلاً لما حل بهم من محنة وبلاء فقال لهم: تفرقوا في الأرض فقالوا: أين نذهب يا رسول الله ؟ قال: هنا

وأشار إلى أرض الحبشة، وكان بالحبشة ملك يقال له النجاشي[١] لا يظلم أحد بأرضه فخرجوا متسللين سراً حتى انتهوا إلى الشعيبة[٢] منهم الراكب والماشي ووفق الله تعالى المسلمين ساعة مجيئهم حيث جاءت سفينة للتجار فحملوهم فيها إلى أرض الحبشة وكان مخرجهم في رجب من السنة الخامسة للبعثة سنة(٦١٥م) وخرجت قريش في أثرهم حتى جاؤوا البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً[٣].

والحبشة اسم للأمة أطلق على أرضهم وهي هضبة مرتفعة غرب اليمن بينهما البحر، وهم أجناس وجميع السكان يعطون الطاعة لملك الحبشة ويقال أنهم من ولد حبش بن كوش بن حام[٤].

ويمكن تقسيم الهجرة إلى الحبشة على هجرتين، الدفعة الأولى من المهاجرين تضم عشرة رجال وقيل أحد عشر رجلاً وأربع نسوة على رأسهم عثمان بن مضعون وكانت مدة إقامتهم في الحبشة شهري شعبان ورمضان، ثم بلغهم ان قريش دخلت في الإسلام فازمعوا الرجوع ورجعوا وعندما بلغوا مكة وجدوا الأذى مضاعفاً فتجدد أمر الهجرة فهاجر الصحابة هجرة الحبشة الثانية فرجعوا إلى الحبشة ولم يدخل مكة منهم أحداً إلا من دخلها متخفياً أو بجوار[٥]، وأما الدفعة الثانية عندما رجع المهاجرون ثانيةً إلى الحبشة لحق بهم آخرون من مكة بعد أن اشتدت ضراوة قريش ضد المسلمين وكان على رأس المهاجرين إلى الحبشة جعفر بن أبي طالب عليه السلام وكان عدد من خرج في هذه الهجرة من الرجال ثلاثة وثمانين رجلاً ومن النساء أحدى عشرة أمرأة قريشية وسبع غرائب[٦].

إلا أن صاحب الصحيح من سيرة النبي صلى الله عليه وآله يرجح أنه لم تكن سوى هجرة واحدة للجميع عليهم جعفر بن أبي طالب عليه السلام والذي لم يكن غيره من بني هاشم، وأن خروجهم كان إرسالاً حفاظاً على عنصر السرية؛ وذلك بدليل الرسالة التي وجهها الرسول إلى ملك الحبشة مع عمرو ابن أمية الضمري والتي جاء فيها: (قد بعثت إليكم أبن عمي جعفر بن أبي طالب ومعه نفر من المسلمين فإذا جاؤوك فأقرهم...الخ)[٧].

لقد كان اختيار الرسول صلى الله عليه وآله للحبشة من دون غيرها لتكون داراً لهجرة المسلمين جاءت لاعتبارات عديدة منها أن الحبشة هي بيئة رعوية، وفيها مجتمع مؤمن يتعبد بديانة نبي الله عيسى عليه السلام وفيها سكان يعيشون عيشة الأقليات، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يفكر في هجرة

المسلمين إلى إحدى القبائل العربية، لأنها كانت ترفض دعوته في أثناء مواسم الحج مجاملةً لقريش وتمسكاً بالوثنية، وكذلك لم يفكر ﷺ في إرسالهم إلى مواطن أهل الكتاب من القبائل العربية الذين يعتنقون الديانات اليهودية والمسيحية، لأن كلاً من الفريقين ينازع الآخر وينافسه مما يشكل خطراً على حياة المهاجرين وسلامتهم، وكذلك اليمن والحيرة والشام؛ لأنها كانت مستعمرات للفرس والرومان(٨).

لذا اختار رسول الله ﷺ الحبشة لتكون داراً لهجرة المسلمين لأنها أقرب البلاد المسيحية التي يحكمها ملك مسيحي من أهل الكتاب إلى الجزيرة العربية والسفر إليها أهون وأسلم عاقبة وتعد الحبشة امتداد للمنطقة العربية نتيجة القرب الجغرافي، والبحر الأحمر كان طريقاً للوصل لا الفصل إذ أنه لا يزيد عن كونه عبور البحر وهو اسلم من اختراق الجزيرة العربية شمالاً أو جنوباً من خلال القبائل العربية المعادية، تعد الحبشة المكان المناسب جغرافياً فهو ليس بالبعيد ولا بالقريب بل بينه وبين قريش بحر ولم تكن قريش قد اعتادت ركوب البحر في تنقلاتها وحروبها.

هنالك علاقات طويلة بين الحبشة والجزيرة العربية من خلال الرحلات التجارية بين الطرفين التي كانت تنطلق من مكة إلى اكسوم وبالعكس مما شجع المسلمين في الهجرة إليها فكانت أول هجرة في الإسلام(٩).

ولما رأت قريش أن المسلمين قد آمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة بعثوا عمارة بن الوليد(١٠) وعمرو بن العاص(١١). وجمعوا مالاً وهدايا للنجاشي ولبطارقته(١٢). وقدَما على النجاشي واستمالا البطارقة وتكلما في مجلس الملك ووصفا المهاجرين بغلمان سفهاء فغضب النجاشي واستدعى المسلمين المهاجرين ولكن دفاع جعفر بن أبي طالب عليه السلام أمير المهاجرين عن الإسلام وتعريفه به وبمبادئه وأصوله وما لاقاه المسلمون من الألم والعذاب في مكة وقراءته سورة مريم التي أدت إلى بكاء النجاشي واساقفته(١٣) خيب أمر وفد قريش وافشلت سفارتهم وعادوا إلى مكة خائبين وعاش المسلمون بأمان وسلام في الحبشة حتى إذن الله ورسوله لهم بالعودة(١٤).

ويذكر أبن جماعة أن قريشاً بعثت في أثرهم إلى النجاشي مرتين:

الأولى عند هجرتهم والثانية عقيب واقعة بدر وكان عمرو بن العاص رسولاً في المرتين(١٥).

وقد أفشل جعفر بن أبي طالب عليه السلام سفارة قريش في الأولى والثانية وقد أدرك ابو طالب عليه السلام ما تخطط له قريش لذلك بعث إلى النجاشي برسالة وفيها بيان يحضه على حسن جوار المهاجرين إليه وحمايتهم بقول:

ألا لَيــــتَ شِــــعرِي فِي النَــــأيِ جَعفَــــرٌ وَعَمْــــرٌو وأعْــــدَاءُ النَبِــــيَ الْأَقَــــارِبُ[١٦]

أولاً: المؤثر الديني للمهاجرين المسلمين في المجتمع الحبشي:

ان سكان الشرق الأفريقي والأحباش بشكل خاص هم نتاج اختلاط العرب بالزنوج. فقد توافد العرب تجاراً ومهاجرين من اليمن والحجاز على الحبشة قبل الإسلام بوقت طويل واستوطنوا تلك الجهات واختلطوا بسكانها وتصاهروا معهم، ونشروا حضارتهم السبئية ولغتهم الجزرية وكوّنوا دولة اكسوم في الحبشة التي كانت مواطن المهاجرين من المسلمين[١٧]، وشكلوا بعدئذٍ اماراتٍ عربيةً على ساحل الحبشة الشرقي منذ القرن الأول الهجري بل قبله في حدود القرن الرابع الميلادي فقد وفدت الأديان اليهودية والمسيحية على الحبشة وتحول إليها أغلب الأحباش [١٨].

منذ عهد الرسول صلى الله عليه وآله دخل الإسلام إلى الحبشة على يد الصحابة الذين هاجروا إليها، وكذلك الأحباش الذين زاروا النبي صلى الله عليه وآله بمكة واعتنقوا الإسلام، حيث يُروى أن النجاشي ملك الحبشة أسلم وأسلم معه قسم من قساوسته ورهبانيته عندما قدم عليهم مهاجرة الحبشة من المسلمين، وأرسل وفداً في ركب فيه عشرون من القساوسة والرهبان قدموا على النبي صلى الله عليه وآله وهو في مكة حين ظهر خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا في مسألتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله عما أرادوا دعاهم الرسول صلى الله عليه وآله إلى الله عزّ وجل وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش، فقالوا: خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل، فلم تظهر مجالستكم عنده حتى فارقتم دين قومكم وصدقتموه بما قال لكم ما نعلم ركباً أحمق منكم، فردوا عليه وقالوا: (سلام عليكم ولا نجاهلكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نالوا أنفسنا خيراً) [١٩]، بل ذكرت الروايات أن النجاشي الذي استضاف المهاجرين قد اعتنق الإسلام وساعد الآخرين

على اعتناقه[٢٠] لذا نعتبر دخول المؤثر الديني للمجتمع الحبشي من ذلك الحين.

إن الهجرة الإسلامية لم تترك أثراً في حياة البلاد بل تركت أثراً في نفوس الناس وأطلعتهم على الينبوع الروحي الجديد المتفجر بالقوة والحياة ووطدت الصلات الحضارية بين الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ وبين الأحباش، وفتحت لهم آفاقاً حضارية، إذ لم ينس الرسول ﷺ مكرمة الأحباش وملكهم حيث حملوا منه أطيب الذكريات وعاش في بلاطه المسلمون متحابون متآلفون يؤدون فرائض دينهم ويعلمون شرائع الإسلام من المتفقهين منهم وتغلغل الإسلام هادئاً إلى الحبشة وبدأ المهاجرون بنشر الإسلام في البلاط الاكسومي وبعض رجال الكنيسة بمختلف الأساليب، حيث كان لتفوقهم الديني الأثر في استجابة النجاشي وعائلته وأقربائه ووفد البطارقة والقساوسة العشرين إلى الدعوة الإسلامية[٢١]، بل النجاشي بعث بأبن أخيه ذي مخمر ليخدم النبي ﷺ في مكة[٢٢].

ومن نتائج تلك الهجرة إلى الحبشة أقر النبي ﷺ عدة تشريعات في العبادات والمعاملات ومن هذه التشريعات، التيسير على المصلي الذي يركب البحر، إذ أن القيام ركن من أركان الصلاة للمستطيع فإذا فقد شرط الاستطاعة لراكب البحر صلى جالساً فعن ابن عمر قال أمر رسول الله أصحابه حين خرجوا إلى الحبشة أن يصلوا قياماً ما لم يخافوا الغرق[٢٣]، إقرار صلاة الغائب، جواز التصرف في الهدية بالبيع أو الهبة أو غيرهما، كان يصلي النجاشي إلى بيت المقدس وليس إلى الكعبة حتى مات سنة ٩ هـ (٦٣٠م) وقد صرفت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ونزلت فيه الآية ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ...﴾ فكان هذا عذراً للنجاشي[٢٤].

ثانياً: المؤثر الاجتماعي والفكري للمهاجرين والمسلمين في المجتمع الحبشي:

مع اختلاف البيئة بين مكة والحبشة فان المهاجرين قد تأثروا بتلك البيئة واثروا فيها دون حدوث أية مشاكل.

ولتأثير الإسلام في المجتمع كان واضحاً في الزي فبعد أن كان الفرد الحبشي والأفريقي عموماً أشبه بالعاري صار يلبس العمامة فهو نوعٌ من العبادة وهو زي عربي إسلامي[٢٥]، وتسمى آخرون بأسماء المسلمين مثل عبد الله بن النجاشي أصمحة، وقيل كان له ولد اسمه محمد[٢٦]، وأخذوا يلبسون اللباس الطويل الأكمام الطويلة ولأن الوافدين كانوا قد

احضروا معهم عدداً من النساء والفتيات بالهجرة، فقد قلد نساؤهم الوافدات بالزي حيث غطت المرأة الحبشية رأسها ولفت القماش حول جسدها حتى القدم[٢٧]، إذ حمل المهاجر المسلم إلى الحبشة إسلامه الذي هذب خلقه وصقله على الصدق والأمانة وعدم الغش مما جعله مثاراً لإعجاب الناس والترحيب وبالأخص من الملك وحاشيته.

إن الإسلام دين الفطرة ولا يعتمد على الجنس واللون لذا حقق للافريقي عموماً السعادة وتحقيق الذات وحقق الوحدة القبلية ووجد نوعاً من الرفاه الاجتماعي، فقد اهتم بكل نواحي الحياة حتى وصل اهتمامه بالنظافة النفسية و الجسمية وأبطل بعض الممارسات مثل شرب الخمر وأكل لحوم البشر، ودعا إلى احترام الذات والحياة وأعطى الإنسان الأفريقي الكرامة والمسؤولية عن الحياة وتحريمه تجارة الرقيق[٢٨]، وكان مبدأ الإسلام وهدف المسلمين ما جاءت به الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾[٢٩].

كان من حكمة النبي ﷺ ومعرفته بأمور الحكم والسياسة معرفة تامة حيث انه لم يطلب من النجاشي أن يدخل في دينه عنوة، ولا أن يولي احداً من المهاجرين مناصب هنالك ولا إن يأمر قومه في الدخول إلى الدين الجديد.

إن حوار جعفر بن أبي طالب عليه السلام مع وفد قريش أمام النجاشي وبطارقته خير دليل ونموذج للخطاب الفكري الإسلامي، فلما دعا النجاشي أساقفته ونشروا مصاحفهم حوله، ثم سألهم للمهاجرين فقال لهم: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الأمم؟ وكان الذي رد عليه جعفر بن أبي طالب عليه السلام فقال له: أيها الملك كنا قوم أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف وكنا على ذلك حتى بعث الله تعالى إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفحشاء وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله عز وجل فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً

وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا... بعدها جرى حوار بين النجاشي والمهاجرين في حضرة اساقفي النجاشي بشأن عيسى عليه السلام فقال النجاشي: هل معك ما جاء به الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم فقال له اقرأ علي فقرأ عليه صدر سورة مريم ﴿كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾[٣٠] فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت اساقفته حتى اخضلت مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم[٣١] ثم قال النجاشي: أن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى[٣٢].

فمن المستحيل على جعفر ترجمة سورة مريم وخصوصاً انها تبدأ بحروف مقطعة كما ان البكاء لا يحصل إلا لشخص فهم تماماً ما يسمع فهذا يدل على ان النجاشي كان عالماً بلغة العرب.

فلو تأملنا هذا الخطاب لوجدناه عبارةً عن منهاج فكري وحضاري يدل على عظمة العقيدة الإسلامية وسمو المسلمين ودورهم الحضاري في المجتمع.

ويمكن أنْ نستنتج من الروايتين أنْ الفرد المسلم كان محط اهتمام الإنسان الحبشي واعجابه كما كان للعرب في قلوب الزنج احترام كبير ومهابة ولذلك حتى عاينوا رجلاً من العرب تاجراً أو مسافراً سجدوا له وعظموا شأنه وقالوا بكلامهم هنيئاً لكم يا أهل بلاد التمر[٣٣].

ولكون الحبشة موطن المهاجرين الأوائل ودار مستقرهم لزمن ليس بالقصير، نجد أن الدولة الإسلامية قدمت لها خلاصة فكرهم وعقيدتهم وأمدتها بأجمل الخصال وأطيب العادات والتقاليد ولم تحتك معها بأي عمل عسكري في زمن الرسول صلى الله عليه وآله[٣٤].

يقول ترمنجهام: إن الإسلام لا يستعبد الشعوب وإنما يشعرها بالعزة والكرامة ويقوي فيهم النزعة إلى الحرية، ولم يقضِ الإسلام على النظم المحلية، بل أكسبها شكلاً يتلائم مع تقاليدها، ويرى أن في الإسلام ما يغري الفرد من النواحي الاجتماعية والاقتصادية، فكل جماعة تستطيع ان تأخذ ما تريد، فالعبادة فيه سهلة وبسيطة وغير معقدة ولا ترتبط بكنيسة معينة أو رجل دين معين [٣٥].

حتى أن النجاشي ملك الحبشة الذي اختاره ومملكته الرسول الكريم ﷺ لتكون موطناً للمهاجرين وملاذهم، حيث أعطى النجاشي بما نسميه اليوم اللجوء السياسي للمهاجرين إلى بلاده وتكفل بإعطائهم حرية الرأي و كان النجاشي في طفولته وشبابه مقيماً في بني ضمرة، لذلك كان القصد من إرسال عمرو بن أمية الضمري برسالة النبي ﷺ إلى النجاشي، هو فضل هذه العائلة الكبيرة على النجاشي، وأن الفضل الأخلاقي يؤتي إثره في نفس النجاشي [٣٦].

ثالثاً: المؤثر الاقتصادي والتجاري للمهاجرين والمسلمين في المجتمع الحبشي:

أن هؤلاء المهاجرين قد تركوا أموالهم وديارهم ابتغاء مرضاة الله فقد عوضهم الله خيراً منها فقد نالوا من غنائم غزوة خيبر في محرم سنة ٧هـ (٦٢٨م) دون أن يشتركوا فيها[٣٧]، اما من ناحية الزراعة إن في اثيوبيا زراعة تشبه بشكل كامل الزراعة في جنوب الجزيرة العربية، من حيث إعداد التربة الجبلية وجعلها على شكل مسطبات تعد لأغراض الزراعة. وإن هذا الأسلوب غريب ولم يكن متداولاً في شرق أفريقيا قبل دخول العرب المسلمين إليها، وبسبب قرب الرحلة إلى سواحل الحبشة فقد استوطن كثير منهم على الساحل بل وحتى في مدن قلب الحبشة وأدخلوا زراعة أنواع من النباتات مثل جوز الهند وقصب السكر والتي لم تكن معروفة لديهم من قبل [٣٨].

ولعل أكثر المسلمين احتكاكاً بالعناصر المختلفة في المجتمع الحبشي هم التجار الذين يتجولون في أماكن مختلفة سعياً وراء التجارة ومصادر الرزق فكان هؤلاء التجار دعاة الإسلام وحضارته، حيث تغلغلوا في الحبشة وكانوا لما يتصفون به من حسن المعاملة والصدق له الأثر الكبير في كسب الاحترام والثقة[٣٩].

إذاً لاشك في أن الغالبية العظمى من المهاجرين المسلمين الذين استوطنوا الساحل الأفريقي ووطدوا مراكزهم في شرق أفريقيا كانوا من التجار العرب وبالأخص تجار اليمن والجنوب العربي، وهذا ليس بالأمر الجديد فمنذ العصور القديمة وهم عماد التجار والنشاط في تلك البقاع ويكاد لا ينافسهم في التجارة في هذه المناطق إلا أشقاؤهم الواردون من الجزيرة العربية[٤٠].

وعندما بزغ فجر الإسلام أخذ هؤلاء التجار المجاهدون يتحلون بصفاته وآدابه وتعاليمه

وأخذ أثرهم الحضاري يزداد كلما ازدادت الصلات التجارية وازدياد عدد المستقرين على الشاطئ الشرقي لأفريقيا الذي يتمتع بالهواء الطيب وساعد الاستقرار على تحكم التجار المسلمين في تجارة البلاد الداخلية وسط أفريقيا مما كان يعود عليهم بالمزيد من الربح والذي أدى فيه العرب الجنوبيون دوراً كبيراً في النشاط البحري والتجاري وظل أثره واضحاً حتى قرون متأخرة، ولكن بدايتها كانت في القرن السادس الميلادي، حيث كانت تجارة البلاد العربية واسعة الانتشار على البحار وأخذت توطد أقدامها وتستقر في كثير هذه الأنحاء[٤١] ويذهب اليعقوبي إلى أن العرب توغلوا شمالاً باتجاه مملكة البجة وإلى جميع الأراضي التي تمتد من جنوبي أسوان إلى البحر الأحمر وقد قسمها إلى خمس ممالك، ويستمر اليعقوبي بسرد الممالك، ليقول: أن المملكة السادسة هي مملكة النجاشي وهي بلد عظيم الشأن واسع ولم تزل العرب تأتي بالتجارة ويؤدون له الخراج والنجاشي على دين النصرانية، وهذا دليل على أن العرب اتصلوا بالحبشة وتعاملوا معهم تجارياً[٤٢].

لذا يعدُ التجار والمهاجرون المسلمون ونزولهم على الساحل الأفريقي الشرقي وبالمدن التجارية التي كانوا يترددون عليها قبل الإسلام يعتبرون دعاة الى الدين الجديد، عمد النبي ﷺ والصحابة إلى إكرام وفادة الاحباش أينما كانوا فما جزاء الإحسان إلا الإحسان ودليل ذلك انه لما قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ قام يخدمهم فقال اصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال أنهم كانوا لأصحابي مكرمين واني أحب أن أكافيهم[٤٣]، بعد ذلك نقلوا الإسلام إليها بعد ظهوره ونشروا مبادئه بوصفه ديناً ذا مناسك وعبادات وأخلاق غير منهم السلوك والتعامل ثم اختلطوا بالأفريقيين وسيطروا على الأسواق والتعاملات التجارية، ثم ساح هؤلاء التجار إلى الداخل واشتغلوا بالزراعة والرعي كونهم اتوا من بلدان ذات حضارة وعلى علم بالزراعة والصناعة حتى أسسوا لهم مراكز استقرار بعد أن انصهروا بالمجتمع الحبشي وعمقوا بين أهلها الإسلام وأسسوا أيضاً كيانات وأساطيل تجارية في أفريقيا كما هو الحال في عصر الدولة الفاطمية حيث اعد الفاطميون أسطولاً تجارياً في ميناء عيذاب على البحر الأحمر شمالي الحبشة [٤٤].

الخاتمة:

لابد لي من التوقف عند بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي كما هي

مبينة أدناه:

أولاً: إن هجرة المسلمين الأوائل إلى الحبشة التي استمرت مدة عقد ونصف من الزمان قد أثرت بأحرف من نور في البلاط الأكسومي وليجعلوا من إمبراطورهم النصراني وأساقفته شخصيات إسلامية تؤمن بنبوة رسوله ﷺ من خلال الحوار الديني الذي قام به جعفر بن أبي طالب عليه السلام مع وفد قريش امام النجاشي.

ثانياً: تأثر المجتمع الحبشي بالزي العربي الإسلامي من قبل المهاجرين المسلمين بعد انْ كانوا أشبه بالعراة فصاروا يلبسون العمامة فهو نوع من العبادة، وقلدت نساؤهم الوافدات بالزي الإسلامي حيث غطت المرأة الحبشية رأسها ولفت القماش حول جسدها حتى القدم.

ثالثاً: اهتموا بالنظافة النفسية والجسمية وأبطلوا بعض الممارسات مثل شرب الخمر وأكل لحوم البشر ودعوا المسلمين إلى احترام الذات والحياة وأعطى الإنسان الأفريقي الكرامة والمسؤولية وتحريمه تجارة الرقيق.

رابعاً: إن التجار المسلمين الذين يتجولون في المجتمع الحبشي و الأفريقي فيما بعد سعياً وراء التجارة ومصادر الرزق وكانوا دعاة للإسلام وحضارته حيث تغلغلوا هناك وكانوا لما يتصفون به من حسن المعاملة والصدق له الأثر الكبير في كسب الاحترام والثقة.

خامساً: صدق الأيمان عند الحبشيين وذلك واضح في البحث عن الدين الحق ولتفكر والتدبر بالإسلام عند قدومه وعدم الممانعة من تغيير الدين تيقنهم بان الدين الجديد هو الدين الصحيح وهو خاتم الأديان السماوية وقد بشرت كتبهم بذلك.

هوامش البحث

(١) النجاشي: هو اصمه بن ابجر النجاشي، والنجاشي لقب له اسلم في عهد النبي ﷺ على يد جعفر بن أبي طالب عليه السلام أمير المهاجرين إلى الحبشة، واسمه بالعربية عطية، أبن حجر، الإصابة، ج ٣٤٧/١.

(٢) الشعيبة: تصغير شعبة خليج على ساحل البحر جنوب جدة بما يقرب من ٦٨ ميلاً كانت ميناء مكة المكرمة، البلاذري، معالم مكة، ج ١٤٧/١.

(٣) أبـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج١/٣٤٤؛ الطـبري و تـاريخ، ج٢/٧٠؛ أبـن سـعد، الطبقـات، ج١/١٥٩؛ الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، ج١/١٥١.

(٤) البلاذري، معجم المعالم، ج١/٩١؛ الزرقاني، شرح الزرقاني، ج١/٥٠٣.

(٥) أبـن هشـام، السـيرة النبويـة، ج٢/٣٤٤؛ أبـن كـثير، البدايـة والنهايـة، ج٣/٥٩-٨٨؛ الطبري، التـاريخ، ج١/٢٠٧ - ٢٠٩؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج٢/٢٩٧.

(٦) أبن سعد، الطبقات، ج١/٩٩ - ١٠٠؛ أبن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٤٥.

(٧) العاملي، الصحيح من السيرة، ج٣/٢٤٥.

(٨) مينسي، إسلام نجاشي، الحبشة، ج١/٣٩.

(٩) المصدر نفسه، ج١/٤٠؛ العلي، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ج١/٣٩٢.

(١٠) عمارة بن الوليد بن المغيرة يكنى ابا فايد وكان من فتيان قريش وبعث مع عمرو بن العاص للنجاشي، البلاذري، انساب الاشراف، ج١/٢٠٧.

(١١) عمرو بن العاص بن وائل السمي يكنى ابو عبد الله، الزركلي، الاعلام، ج٥/ ٧٩.

(١٢) البطارقة: جمع بطريق وهو القائد، الندوي، السيرة النبوية، ج١/١٩٨.

(١٣) الاساقفة: لفظ يطلق على علماء النصارى والوأحد: يسمى الاسقف، الندوي، السيرة النبوية، ج١/١٩٩.

(١٤) القاضي النعمان، المناقب والمثالب، ج١/١٠٨؛ الندوي، السيرة النبوية، ج١/٢٠٠.

(١٥) إبن جماعة، المختصر الكبير في سيرة الرسول، ج١/٣٦.

(١٦) إبن هشام، السيرة النبوية، ج١/٣٣٤.

(١٧) إبن سعد، الطبقات، ج١/٤٣؛ اليعقوبي، تاريخ، ج١/٩١٠؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ج٤/٩٨؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٥/١٧٢.

(١٨) غيث، الإسلام والحبشة عبر التاريخ، ص٣٤؛ جوستاف، حضارة الإسلام، ص٩٢؛ النقير، انتشار الإسلام في الحبشة، ص٣٦٩؛ الجيزاني، الهجرة الى الحبشة، ص ١٢٠.

(١٩) أبن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٢٦٣؛ القرطبي، تفسير القرطبي، ج٦/٢٥٦؛ إبن كثير، تفسير أبن كثير، ج٢/٨٦.

(٢٠) إبـن سـعد، الطبقـات، ج٤/٢٤٨؛ الطبري، تـاريخ، ج١/٢٠٧ - ٢٠٩؛ أبـن مـاكولا، الاكمـال، ج٢/٦٣؛ القرطبي، تفسير، ج٢/٨٢.

(٢١) إبن الاثير، الكامل، ج٢/٦٩ - ٧٢؛ الحسني، سيرة المصطفى، ص١٧٤ - ١٨٠

(٢٢) ترمنجهام، الإسلام والثقافة. العربية في أفريقيا، ص٦٠.

(٢٣) البيهقي، السنن، ٢/٨٧.

(٢٤) القرطبي، تفسير القرطبي،٢/٨٢

(٢٥) النقير، انتشار الإسلام في الحبشة، ص٦٤.

(٢٦) إبن حجر، الإصابة، ج٥/٨١.

(٢٧) ترمنجهام، الإسلام في شرق الحبشة، ص٢٧٢.
(٢٨) ترمنجهام، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص١٧.
(٢٩) سورة النحل، آية/١٢٥.
(٣٠) سورة مريم، آية /١- ٤.
(٣١) إبن هشام، السيرة النبوية، ج٣٢٥/١؛ الاصبهاني، حلية الأولياء، ج١١٥/١؛ إبن الجوزي، صفة الصفوة، ج٥١٤/١؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٤٣٢/١.
(٣٢) الادريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج٦١/١؛ الجيزاني، الهجرة الى الحبشة، ص ١٢٥.
(٣٣) الحاكم المستدرك على الصحيحين، ٢١١/١.
(٣٤) اليعقوبي، تاريخ، ج٢ /١٥٦؛ أبن الجوزي، المنتظم، ج٣٥٩/٣؛ أبن حجر، الإصابة، ج٥٦/٤.
(٣٥) ترمنجهام الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص١٨.
(٣٦) غيث، الإسلام والحبشة عبر التاريخ، ص٥٨.
(٣٧) ترمنجهام، الإسلام في شرق أفريقيا، ص٩.
(٣٨) بدوي، مع حركة الإسلام في أفريقيا، ص٢٢.
(٣٩) ارنولد، الدعوة إلى الإسلام و ص١٣١ - ١٣٤
(٤٠) غيث، الإسلام والحبشة عبر التاريخ، ص١٠٨؛ أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص٢٣١.
(٤١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١٩٢/١.
(٤٢) البداية والنهاية ابن كثير، ٧٨/٣
(٤٣) هوبيردشان، الديانات في أفريقيا السوداء، ص١٣٥ - ١٤٦؛ الجيزاني، الهجرة الى الحبشة، ص ١٢٧.
(٤٤) الجيزاني، الهجرة الى الحبشة، ص١٢٨.

قائمة المصادر والمراجع

- خير ما نبتدأ به القرآن الكريم.
- إبن الاثير: أبو الحسن علي أبن أبي الكرم إبن عبد الكريم الشيباني الجرزي (ت: ٦٣٠هـ)
١- الكامل في التاريخ، تحقيق: ابو الفداء عبد الله بن القاضي، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٩٩٥م).
- الاصفهاني: ابو النعيم احمد إبن عبد الله أبن احمد أبن اسحاق (ت: ٤٣٠هـ).
٢- حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، مكتبة الخانجي، (القاهرة - ١٤١٦هـ).
- البلاذري: احمد أبن يحيى أبن جابر إبن دأود (ت: ٢٧٩هـ).
٣- انساب الاشراف تحقيق: سهيل زكار واخرون، دار الفكر، (بيروت - ١٤١٧هـ).
- البيهقي: ابو بكر احمد بن الحسين بن موسى (ت: ٤٥٨هـ).
٤- دلائل النبوة تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة الباز، (مكة المكرمة ١٩٩٤م).

- إبن الجوزي: جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن أبن علي أبن محمد (ت: ٥٩٧هـ).
٥- صفوة الصفوة، تحقيق: محمد فاخوري دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن (الهند - ١٣٥٥هـ).
- إبن حجر العسقلاني: ابو الفضل احمد إبن علي إبن حجر الشافعي (ت: ٨٥٢هـ).
٦- الاصابة في تميز الصحابة، تحقيق: علي محمد البيجأوي، دار الجيل، (بيروت -١٩٩٢م).
- الذهبي: ابو عبد الله محمد إبن احمد أبن عثمان (ت: ٧٤٨هـ).
٧- سيرة اعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط واخرون، مؤسسة الرسالة، (بيروت - ١٣١٣هـ).
- إبن سعد: ابو عبد الله محمد إبن سعد إبن منيع البصري الزهري (ت: ٢٣٠هـ).
٨- الطبقات الكبرى، دار احياء التراث العربي، (بيروت - ١٤١٠هـ).
- الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ).
٩- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة دار المعارف، (القاهرة - ١٩٦٧م).
- إبن جماعة: عز الدين عبد العزيز إبن محمد إبن ابراهيم الدمشقي (ت: ٧٦٧هـ).
١٠- المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ، تحقيق: سامي مكي العاني، دار البشر، (عمان - ١٤١٤هـ).
- القرطبي: ابو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي (ت: ٦٧١هـ).
١١- تفسير القرطبي، تحقيق احمد البردوني واخرون، دار الكتب المصرية، (القاهرة - ١٩٦٤م).
- القاضي النعمان: ابو حنيفة النعمان بن محمد المغربي، (ت: ٣٦٣هـ).
١٢- المناقب والمثالب، تحقيق: ماجد بن احمد العطية، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت - ١٤٣٣هـ).
- المقدسي: المطر أبن طاهر (ت: ٣٥٥هـ).
١٣- البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، (بورسعيد، بلا.ت).
- إبن كثير: عماد الدين اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ).
١٤- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، (بيروت -١٩٦٧م).
- إبن هشام: ابو محمد بن عبد الملك بن هشام المعافيري (ت: ٢١٨هـ).
١٥- السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، (بيروت - ١٤١١هـ).
- ياقوت: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت: ٦٢٦هـ).
١٦- معجم البلدان، دار الفكر،(بيروت - ١٩٥٧م).
- اليعقوبي: احمد بن جعفر بن واضح (ت: ٢٨٤هـ).
١٧- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت - ١٤٠٧هـ).
- أبن ماكولا: الامير علي هبة بن أبي نصر (ت: ٤٧٥هـ).
١٨- الاكمال لأبن ماكولا، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٤١١هـ).
- الندوي: ابو حسن علي بن عبد الحي بن فخر الدين (ت: ١٤٢٠هـ).
١٩- السيرة النبوية، دار أبن كثير، (دمشق - ١٩٨١م).
- الادريسي: ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس (ت: ٥٦٠هـ).

٢٠-نزهة المشتاق في اختراق الافاق، عالم الكتب، (بيروت - ١٩٨٩م).
- ارلوند: توماس.
٢١-الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن ابراهيم حسن واخرون،(بيروت-١٩٧٠م).
- ترمنجهام، سبنسر.
٢٢- الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ترجمة: حسن احمد محمود، دار النهضة العربية، (القاهرة - ١٩٦٣م).
٢٣-الإسلام في شرق أفريقيا، ترجمة: محمد عاطف النواري، المطبعة الفنية الحديثة، (القاهرة - ١٩٧٣م).
٢٤-انتشار الإسلام والعروبة في ما يلي الصحراء الكبرى، ترجمة: حسن ابراهيم حسن، مكتبة النهضة العربية،(القاهرة - ١٩٥٧م).
٢٥- تاريخ الإسلام، (القاهرة - ١٩٦٧م).
- النقيرة: محمد بن عبد الله.
٢٦-انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة العرب له، دار المريخ للنشر، (الرياض - بلا. ت).
- الزركلي: خير الدين.
٢٧-الاعلام، دار العلم للملايين، (بيروت - ١٩٧٩م).
- غيث: فتحي.
٢٨-الإسلام والحبشة عبر التاريخ، مكتبة النهضة العربية، (القاهرة - ١٩٤٣م).
- الفيتوري: عطية مخزوم.
٢٩- دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء، دار الكتب الوطنية، (بن غازي - ١٤١٩هـ).
- الحسني: هاشم معروف.
٣٠-سيرة المصطفى (ص)، دار الكوخ للطباعة والنشر، (قم - ٢٠٠٨م).
- العاملي: جعفر مرتضى.
٣١- الصحيح من السيرة، اعداد: حسن حراجلي، المركز الاسلامي للدراسات، (بيروت - ١٤٢٣هـ).
- جوستاف: افون جرد نيبام.
٣٢-حضارة الإسلام، ترجمة: عبد الحميد العبادي وآخرون، مكتبة مصر بلا. ت
- هوبير ديشان.
٣٣- الديانات في أفريقيا السوداء، ترجمة احمد صادق حمدي، المركز القدوسي للترجمة، (بلا.ت).
٣٤-الجيزاني، رحمن حسين علي، جامعة بغداد، كلية التربية، رسالة ماجستير لسنة ٢٠٠٤م.